وبدأ بتنظيم وقائع المقاومة الشعبية، فاعتقله الجنود وأمروه بانزال احد الاعلام المرفوعة فوق قبّة احد الجوامع. حينئذٍ، بدأ منولوج داخلي أشبه بكرنفال أحسّ به وعاشه حسام متحدياً المسافة والزمن والجنود بوجوههم الصلدة، الى ان وصل الى العلم، فأنزله وطواه بين يديه كأم احتضنت وليدها، وبدأ بتقبيله، والجنود، ذوو الوجوه الجلفة والنفوس الحاقدة، يراقبون بعصبية وادراك مهزوز:

«وقف حسام أمام الجندي الجلف وعيناه في عيني الجندي. رفع العلم المطوي الى شفتيه وقبّله. خطف الجندي المذهول العلم بشراسة من يد حسام. توقف الزمن، وتجمّدت حركة الكون. رفع حسام يده اليمنى نحو جبينه بتحية عسكرية للعلم. بنفس اللحظة لم تنفع الصرخة مجيد، فتدلّى جسده معلّقاً من احد الاعمدة. انفجر السكون، بشكل فجائي، بهتاف كانفجار قنبلة موقوتة:

« ـ الموت للخونة.

«زغردت بضع نساء. تساقطت حجارة كثيرة. استدار حسام عائداً بخطوات عسكرية، أمام انظار الجنود المفاجأين بتسارع الحدث. انطلقت رصاصات وقنابل غاز. امتدت جذور حسام وتشعّبت عميقاً في الارض. وقف منتصب القامة رغم الدم الاحمر المتدفّق من صدره»(٥٩).

لعلّ هذا الجو المشحون بحب الحياة وتقديس العلم، كرمز للوطن والحرية والسلام، اقتضى الدخول في الصراع على مستويين. الاول نفسي، وهو ما أكدته طبيعة حسام ونزوعه الى التأمل والقلق والتداعي؛ والثاني الدخول في الصراع المادي في الواقع، وتحدّي الجنود واظهار صورة مشرقة في تقديس العلم والتحية العسكرية له. وكل هذا أتانا عبر محاكمة منولوجية حكاها حسام الذي تقمّص شخصية الكاتب، أو العكس صحيح أيضاً، لتصل الينا قصة «تحية الى العلم» على انها قصة من صميم احداث الانتفاضة المعاشة يومياً، بتقديم الوقائع، بأمانة وصدق، دون أي انحياز.

---

(١) محمد علي طه، «مؤسساتنا الصحافية في مواجهة الاضطهاد القومي»، ورقة أُلقيت في محاضرة في اثناء مشاركته في **الندوة العالمية لدعم وحماية الثقافة في الارض المحتلة**، التي عقدت في اثينا، بتاريخ ٣٠ ـ ٣١ آذار (مارس) ١٩٨٦.

(٢) **الاتحاد** (حيفا)، ٢٢/٦/١٩٨٤.

(٣) غسان كنفاني، **الادب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال: ١٩٤٨ ـ ١٩٦٨**، بيروت: مؤسسة الابحاث العربية، الطبعة الثانية، ١٩٧٨، ص ١٤.

(٤) حنّا أبو حنّا، **تجرّعت سمّك حتى المناعة**، حيفا: مطبعة الوادي، ١٩٩٠.

(٥) من قصيدة «يتلثم كانون»، **المصدر نفسه**، ص ١٨.

(٦) من قصيدة «بلد الارجوان»، **المصدر نفسه**، ص ٨٥.

(٧) من قصيدة «يا حنظلة الخير»، **المصدر نفسه**، ص ٥٦.

(٨) من قصيدة «حول الشهوة»، **المصدر نفسه**، ص ٩١.

(٩) سميح القاسم، **سجحة للسجلات**، عكا: دار الاسوار، ١٩٨٩.

(١٠) من قصيدة «السجل الثامن، رسالة الى قراء لا يقرأون»، **المصدر نفسه**، ص ٣٠.

(١١) **المصدر نفسه**، ص ٤٣.

(١٢) **المصدر نفسه**، ص ٣١.

(١٣) من قصيدة «مصر (ر. رؤيا)»، **المصدر نفسه**، ص ٥٤.

(١٤) **المصدر نفسه**، ص ٥٥.

(١٥) ميشيل حدّاد، **عودة العاشق الى أغواره**،